كيفية معالجة النبي ﷺ مشكلة نقص الماء في العهد المدني

د. علي حسن أحمد شعيب
وزارة الأوقاف المصرية

قد يظن بعض الناس أن مشكلة نقص الماء - كغيرها من المشكلات - وليدة هذا العصر، وهو ظن في غير موضعه، لأن هذه المشكلة قديمة متجددة، أصابت الأمم منذ القدم، وأصابت الدولة الإسلامية في بدء مرحلة التأسيس والتكوين. وهذه الدراسة تلقي الضوء على أسباب هذه المشكلة وطرق علاجها، خاصة أن بلاد الحجاز - مهد الدعوة الإسلامية - ليس بها أنهار، وإنما اعتمد أهلها في حياتهم على مياه الآبار والأمطار، كما أن النبي محمدًا ﷺ رسول الله للناس كافة، لا للعرب وحدهم، وجاء بشريعة هي خاتمة رسالات السماء لأهل الأرض، وفيها علاج لكل مشكلات البشرية، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد ظهرت الدعوة الإسلامية بواد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام، بمكة المكرمة، وقد عانى أهلها أزمة

(قدم للنشر في ١٤٣٠/١٢/٢٥هـ، وقبل للنشر في ١٤٣١/٧/٢٩هـ).



في الماء، وهذا ما دعا بعض الأخباريين إلى تفسير اسم مكة بأنها مشتقة من مك، أي امتص لقلة مائها(١).

في حين كانت يثرب ديار الأوس والخزرج، ومن وفد عليهم من اليهود، بلد زراعيًا ولذلك كان من بين الأمور التي افتخر بها بعض الأنصار عند دخول النبي ﷺ المدينة، كثرة الماء والغذاء(٢)، ومع ذلك نجد المدينة عقب الهجرة المباركة، تعاني عددًا من المشكلات، ومنها مشكلة المياه، فما أسباب تلك المشكلة؟ وما التدابير التي اتخذها النبي ﷺ لعلاج هذه المشكلة؟ هذا ما سنتعرف إليه من خلال هذه الدراسة.

أوضاع المياه في المدينة:

كانت المدينة قبل الهجرة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - بلدًا عامرًا بأهله من العرب واليهود، عند كل منهم ما يكفيه من مياه الآبار التي كان عليها مدار شربهم ومن وفد عليهم(٣)، وآية ذلك أن المصادر لم تشر إلى أن أهل يثرب عانوا مشكلة في المياه كما عاناها أهل مكة(٤)، إلا أن مشكلة المياه

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٨٢، دار الفكر، بيروت (د.ت).

(٢) العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج١، ص٣٦٢، تحقيق: عادل أحمد وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م. وعبدالباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج١، ص٢٢٦، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) عبدالقدوس الأنصاري: آثار المدينة، ص٢٤٠، ط٣، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م؛ وأحمد أبو الفضل: دراسات في العصر الجاهلي، ص١٠٥، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص١٣٢، ط٢، (د.ن)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م؛ والسيد عبدالعزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، ص٣٣٦، ط٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

بدأت في الظهور عقب استقرار المهاجرين بالمدينة، حتى إنهم كانوا يشترون القربة من المياه ممن يمتلكونه بمد من الطعام(٥).

ولم تنته المشكلة عند هذا الحد، بل إنها كانت تلحقهم في أسفارهم، لأن بلاد الحجاز تقع في المنطقة الصحراوية، فليس بها ولا "بجزيرة العرب جملة نهر يجري فيه مركب، وإنما فيها العيون الكثيرة المتفجرة من الجبال المعتضدة بالسيول والأمطار الممتدة من واد إلى واد"(٦)، وقد كانت هذه الأمطار تكون أنهارًا من ماء السماء يستقي منها الناس(٧)، وفي بعض الأحيان كانت تعوقهم عن السير في الطرقات إذا تحولت إلى سيول تملأ الوديان، فيشق عليهم اجتيازها(٨)، ومع ذلك فإن مياهها مؤقتة، ولا تدوم طويلاً(٩).

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٩٩؛ وابن الضياء: تاريخ مكة، ص٢٤٧، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري وآخر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م؛ والسمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص٩٦٩، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص٢٥٢، تحقيق: يوسف علي طويل، ط١، دار الفكر، ١٩٨٧م.

(٧) ابن حنبل: المسند، ج٣، ص٢١، الحديث رقم ١١١٧٦، مؤسسة قرطبة، مصر (د. ت).

(٨) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص٣٩٦، الحديث رقم١١٣٠، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م؛ وابن شبة: تاريخ المدينة، ج١، ص٥٦، تحقيق: علي محمد دندل وآخر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م؛ وابن خزيمة: الصحيح، ج٣، ص١٠٣، الحديث رقم ١٧٠٩، تحقيق: محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٩) صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص١٣١، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.



ولما كان النبي ﷺ قد أضحى رئيسًا للدولة الإسلامية الناشئة، بجانب الصفة الأساسية الأولى له وهي النبوة(١٠)، فقد كان عليه أن يبحث عن حلول لتلك المشكلة، غير أننا قبل أن نستعرض التدابير التي قضى بها النبي ﷺ على تلك المشكلة، ينبغي علينا أن نذكر أسبابها، سواء في المدينة أو في خارجها.

أولاً: أسباب مشكلة المياه في المدينة

١ - الكثرة العددية للمسلمين:

لم يكد النبي ﷺ ينزل المدينة حتى أصبحت وجهة المسلمين؛ يؤمونها من كل حدب وصوب؛ وهذا أدى إلى زيادة سكانها زيادة كبيرة(١١)، ويتضح ذلك من الأرقام التي تحدثت عن المهاجرين - وإن لم تحصهم عددًا - فعلى سبيل المثال: آخى النبي ﷺ بين تسعين رجلاً، وقيل: مئة، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار(١٢)، هذا عدا ما كان معهم

---

(١٠) إبراهيم علي طرخان: النظام الإقطاعي الإسلامي في الجزيرة العربية في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، ص٢٧٨، بحث منشور ضمن أبحاث تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، ط١، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(١١) جعفر ميرغني أحمد: مباحث من تاريخ المدينة في أيام النبي والخلفاء الراشدين، ص٢٨١، بحث منشور ضمن أبحاث تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، ط١، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(١٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٣٨، تحقيق: حمزة النشرتي وآخرين، المكتبة القيمة، القاهرة (د. ت)؛ وابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣، ص٦٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، ط٢٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م؛ وابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٧، ص٣١٧، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي وآخرين، ط٢، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

من الأهل والولد، في حين نجد عدد المهاجرين في غزوة ذي العشيرة سنة (٢هـ/ ٦٢٣م) بين مئة وخمسين ومئتين(١٣)، وعندما خرج النبي ﷺ إلى الزوراء (١٤)، كان معه زهاء ثلاثمئة من المهاجرين(١٥)، في حين كان الراتبون من أهل الصفة(١٦) يزيدون على المئة، وقيل: نحو أربعمئة رجل(١٧)، ويبدو أن عدد قاطني الصفة كان يختلف على حسب اختلاف الأوقات والأحوال فربما تفرق عنها وانتقص طارقوها من

(١٣) الصالحي: سبل الهدى، ج٤، ص٢٩، تحقيق: فهيم شلتوت وآخر، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(١٤) الزوراء: اسم يقع على عدة مواضع، منها الزوراء المتصلة بالمدينة. البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٢، ص ٢٨٩، تحقيق: جمال طلبة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م؛ والحميري: الروض المعطار، ج١، ص٢٩٥، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، وهذا الموضع أصبح غير معروف في هذا العهد. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص٢٧١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(١٥) مسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٨٣، الحديث رقم ٢٢٧٩، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

(١٦) الصفة: مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل، وأهل الصفة: ناس من أصحاب رسول الله ﷺ لا منازل لهم، فكانوا ينامون على عهده في المسجد، ويظلون فيه، ما لهم مأوى غيره، فكان ﷺ يدعوهم إليه بالليل إذا تعشى فيفرقهم على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم معه ﷺ حتى جاء الله تعالى بالغنى. ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٣٦١؛ وابن حجر: فتح الباري، ج٦، ص٦٨٨؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٢، ص٤٥٣.

(١٧) ابن حجر: فتح الباري، ج٦، ص٦٨٨ ؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٢، ص٤٥٣؛ والكتاني: نظام الحكومة النبوية، ج١، ص٤٧٧، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).



الغــربـاء والقــادمين بحــسـب من يتــزوج منهم، أو يموت أو يسافر، فيقل عددهم، وربما يجتمع فيها واردوها من الوراد والوفود، فينضم إليهم، فيكثرون[١٨].

وإن كانت المدينة في مقابل تلك الزيادة قد شهدت تفريغًا من قبائل اليهود الذين انحازوا إليها من قبل[١٩]، فإن هذا التفريغ السكاني كان أقل بكثير من الزيادة التي طرأت على المدينة من أنحاء الجزيرة العربية؛ للإسهام في الغزوات والسرايا، وعلى الرغم من أن النبي ﷺ أوقف الهجرة يوم فتح مكة سنة (٨هـ/٦٢٩م)، بقوله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا"[٢٠]، إذ كانت الهجرة فرضًا، في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع للجهاد وتعلم شرائع الدين، فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة إلى المدينة، وبقي الاستحباب[٢١].

(١٨) أبونعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، ص٣٣٩، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م؛ وابن حجر: فتح الباري، ج٦، ص٦٨٨.

(١٩) ابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٤٧، ١٩٠، ٢٣٣، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م؛ وابن النجار: الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، ص٣٢٤، ٣٢٥، تحقيق: لجنة من كبار العلماء، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة (د. ت)، طبع ملحقًا بكتاب: شفاء الغرام للفاسي؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص١٥٩، ١٦٥.

(٢٠) البخاري: الجامع الصحيح، ج٣، ص١١٢٠، الحديث رقم ٢٩١٢؛ ومسلم: صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٨٨، الحديث رقم ١٨٦٤.

(٢١) ابن حجر: فتح الباري، ج٦، ص٤٦، ج٧، ص٢٧٠.

ولذلك فإن عدد المهاجرين فاق السكان الأصليين، وآية ذلك وصية رسول الله ﷺ في مرضه الأخير بهم: "يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرًا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد"(٢٢).

وفضلاً عن هؤلاء المهاجرين انتقلت إلى المدينة جماعات طارئة مؤقتة، تأتي من البادية وتقيم لبعض الوقت، ثم تعود إلى ديارها ممثلة في الوفود والأفراد الذين جاؤوا إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم(٢٣)، ومن ثم ذهب أحد الباحثين(٢٤)، إلى أن إجمالي سكان المدينة - من المهاجرين والأنصار - يقدر عند وفاة النبي ﷺ بثلاثين ألفًا، إلا أن هذا التقدير غير دقيق؛ لعدم وجود قوائم دقيقة بهذا العدد، وإن كانت بعض المصادر قد أشارت إلى مثل هذا العدد في غزوة تبوك (سنة ٩هـ/ ٦٣٠م) فإن الجيش كان فيه عدد غير قليل من أهل مكة والأعراب الذين استنفرهم النبي ﷺ، وحضهم على الجهاد في سبيل الله(٢٥).

(٢٢) ابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٦٥٠.

(٢٣) ابن عبدالبر: الدرر، ص٢٦٩، ٢٧٤، تحقيق: شوقي ضيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م؛ وابن كثير: البداية والنهاية، ج٥، ص٢٧، وما بعدها، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين، ط١، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢٤) عبدالباسط بدر: التاريخ الشامل، ج١، ص٢٤٣.

(٢٥) الواقدي: المغازي، ج٣، ص٩٩٠، ٩٩١، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢ - ملوحة المياه:

كان مدار شرب أهل المدينة في الجاهلية على الآبار، واستمر الحال على ذلك أيضًا بعد قدوم النبي ﷺ إلى المدينة، إلا أن بعض هذه الآبار - بل أكثرها - لم يكن ماؤها عذبًا سائغ الشراب، بل كان ملحًا أجاجًا، وبعضها الآخر كان بين هذا وذاك[٢٦]، ولذلك لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، واستوخموا بعض آبار المدينة، فلم يستسيغوها[٢٧]، إذ لم يكن في المدينة - حين قدمها النبي ﷺ "بئرٌ يستعذب منه إلا رومة"[٢٨].

ولذلك كانوا يحملون الماء العذب إلى بيوت المدينة من نواحيها، فقد كان يستعذب للنبي ﷺ من بيوت السقيا[٢٩]، ولما حدث خلاف بين امرأة وزوجها - بعد طلاقها - على حضانة ابنها جاءت إلى النبي ﷺ وهو جالس مع بعض أصحابه في المسجد، فقالت: "يا رسول الله ﷺ إن زوجي

(٢٦) عبدالقدوس الأنصاري: آثار المدينة، ص٢٤٠، ٢٥٠، ٢٥٢.

(٢٧) ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٩٩ ؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٣، ص٩٧٤، ٩٧٦.

(٢٨) ابن حنبل: المسند، ج، ١، ص٧٤، الحديث رقم ٥٥٥ ؛ والنسائي: السنن الكبرى، ج٤، ص٩٧، الحديث رقم ٦٤٣٥، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري وآخر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٢٩) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٢، وأبو داود: السنن، ج٢، ص٣٤٠، الحديث رقم٣٧٣٥، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر،(د. ت)؛ وابن حبان: الصحيح، ج١٢، ص١٤٩، الحديث رقم٥٣٣٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبة"[٣٠]، وهي بئر عذبة الماء، ونقل أنها على ميل من المدينة[٣١].

يضاف إلى ذلك أن بعض الآبار العذبة في المدينة كانت قليلة المياه، حتى إن الرجل كان يستقي على حماره فتنزح له البئر، ثم تظل عامة النهار ما بها ماء، كبئر غرس[٣٢]، في حين كانت الغدران[٣٣]، والبرك التي كانت تخلفها الأمطار، تزداد ملوحة مياهها عندما تَعْرِض لها البخر، إضافةً إلى ما يسببه ركود المياه فيها من أمراضٍ وحميات[٣٤].

٣ - وجودهم في مكان لا يوجد به ماء:

فقد خرج النبي ﷺ في جماعة من أصحابه إلى الزوراء، وحان وقت صلاة العصر، فقام من كان قريب الدار ليقضي حاجته ويصيب من الوضوء، وبقي ناس من المهاجرين، يراوح عددهم ما بين السبعين والثمانين، وفي رواية ثانية: كانوا

(٣٠) أبو داود: السنن، ج٢، ص٢٨٣، الحديث رقم ٢٢٧٧؛ والنسائي: السنن الكبرى، ج٣، ص٣٨١، ٣٨٢، الحديث رقم٥٦٩٠.

(٣١) ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٠١؛ وابن الضياء: تاريخ مكة، ص٢٤٩.

(٣٢) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٦٩٤؛ وابن النجار: الدرة الثمينة، ص٣٤٦؛ وابن كثير: البداية، ج٦، ص١٠٤.

(٣٣) الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل، وعند الجغرافيين: النهر الصغير (ج) غدرانٌ وغدرٌ. الرازي: مختار الصحاح، ص٤٦٩، مادة: (غ د ر)، تحقيق: محمود خاطر، دار الحديث، القاهرة، (د. ت)؛ ومجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص ٤٤٦، مادة: (غ د ر)، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٣٤) السيد عبدالعزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، ص٣٣٧.



زهاء الثلاثمئة[٣٥]، "فقالوا: يا رسول الله والله ما نجد ما نتوضأ به"[٣٦].

٤ - تلوث المياه:

أصاب بعض مياه الآبار التلوثُ، مثل بئر بضاعة، والتي كانت تقع في حدور[٣٧] من الأرض، فكانت السيول تكسح فيها الأقذار من الطرق والأفنية، فتحملها فتلقيها فيها[٣٨]، فكانوا يتحرجون من استخدام هذه المياه في العادات والعبادات لاعتقادهم بنجاستها؛ ولذا قالوا للنبي ﷺ: "إنه يستقى لك من بئر بضاعة وهى بئرٌ يلقى فيها لحوم الكلاب والمحايض وعذر الناس"[٣٩]، وفي رواية ثانية: "أنتوضأ من بئر بضاعة؟ وهي بئرٌ يلقى فيها النتن والجيفة والمحيض والكلاب؟"[٤٠].

---

(٣٥) ابن حنبل: المسند، ج٣، ص١٦٩، ٢١٥، الحديث رقم ١٢٧٥٠، ورقم ١٣٢٦٧؛ ومسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٨٣، الحديث رقم ٢٢٧٩؛ وابن حبان: الصحيح، ج١٤، ص٤٨١، الحديث رقم ٦٥٤٣.

(٣٦) ابن حنبل: المسند، ج٣، ص٢١٦، الحديث رقم ١٣٢٨٩.

(٣٧) الحَدور: بالفتح، الهَبوط، وهو المكان الذي تنحدر منه، والحدور بالضم فعلك، الرازي: مختار الصحاح، ص١٢٦، مادة: (ح د ر).

(٣٨) ابن الجارود: المنتقى، ج١، ص٢٤، الحديث رقم ٤٧، تحقيق: عبدالله عمر، ط١، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م؛ والدارقطني: السنن، ج١، ص٣١، الحديث رقم ١٢، تحقيق: السيد عبدالله هاشم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م؛ وبدر الدين العيني: شرح سنن أبي داود، ج١، ص٢٠١، ٢٠٢، تحقيق: خالد إبراهيم حسن، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٣٩) أبو داود: السنن، ج١، ص١٨، الحديث رقم ٦٧.

(٤٠) ابن حنبل: المسند، ج٣، ص٣١، الحديث رقم ١١٢٧٥.

٥ - انقطاع المطر:

وقد يكون سبب مشكلة المياه انحباس المطر، وهو ما يؤدي إلى جفاف الأرض وهلاك الحرث والنسل، وقد تكرر هذا السبب أكثر من مرة، وآية ذلك أن الناس أصابتهم سنةٌ(٤١) على عهد النبي ﷺ، فبينما هو على المنبر يوم الجمعة قام أعرابيٌّ فقال: "يا رسول الله هلك المال وجاع العيال، فادع الله أن يسقينا"(٤٢)، وفي رواية ثانية: "قحطت المطر وهلكت البهائم، فادع الله أن يسقينا"(٤٣)، يضاف إلى ذلك عدم كفاية مياه الأمطار للزراعة؛ وهذا أدى إلى حدوث خلافات بينهم أيهم أولى بماء السيل قبل الآخر ليسقي زرعه، وكانت هذه الخلافات ترفع إلى النبي ﷺ فيقضي بينهم(٤٤).

ثانياً: أسباب مشكلة المياه في خارج المدينة

لم تكن حاجة المسلمين إلى المياه في الحضر بأقل من حاجتهم إليها في السفر، فإقامتهم في المدينة لم تكن تعني انقطاعهم عن العالم الخارجي، وإنما كان منهم من يخرج منها لنشر الإسلام والجهاد في سبيل الله، وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، إضافة إلى أن بعض

(٤١) السنة: الجدب، يقال أخذتهم السنة إذا أجدبوا وأقحطوا. ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢١٢٨، مادة: (س ن هـ)، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

(٤٢) مسلم: صحيح مسلم، ج٢، ص٦١٤، الحديث رقم ٨٩٧؛ وابن الجارود: المنتقى، ج١، ص٧٥، الحديث رقم ٢٥٦.

(٤٣) النسائي: السنن الكبرى، ج١، ص٥٥٩، الحديث رقم ١٨٢٢.

(٤٤) البخاري: الجامع الصحيح، ج٢، ص٨٣٢، الحديث رقم ٢٢٣٣؛ وأبو داود: السنن، ج٣، ص٣١٦، الحديث رقم ٣٦٣٨.

المسلمين كانوا مقيمين في ديارهم ومنازلهم خارج المدينة. من ثم تعددت الأسباب التي أدت إلى معاناة المسلمين مشكلة نقص المياه التي يستخدمونها في عاداتهم أو عباداتهم في عهد النبي ﷺ، إلا أنه يمكن حصرها في عدة أسباب، منها:

١ - نزول المسلمين بمكان ليس به ماء:

فعلى الرغم من أن بدرًا(٤٥)، كانت موسمًا من مواسم العرب في الجاهلية وسوقا يجتمع بها أهل الجزيرة في كل عام(٤٦)، ومن شروط السوق توافر المياه حتى لا يهلك الناس، فإننا نجد مشكلة المياه تواجه المسلمين وهم في طريقهم للقاء قريش في غزوة بدر سنة (٢هـ/ ٦٢٤م) حين غلب المشركون في أول أمرهم على الماء، فظمئ المسلمون لنزولهم في المنطقة الجافة بعيدًا عن الماء(٤٧)، في حين نجد أن غزوة أحد سنة (٣هـ/٦٢٥م) جرت وقائعها في منطقة تفتقر للمياه الصالحة للشرب(٤٨)، وكذلك عندما انقطع عقد السيدة

(٤٥) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، وبهذا الماء كانت غزوة بدر الكبرى. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٧، ٣٥٨. وقد نشأت في بدر بلدة نامية تبعد عن المدينة (١٥٥ كم) وعن مكة (٣١٠ كم) وعن سيف البحر (٤٥ كم) تقريبًا، وبلدة بدر تابعة في كل شؤونها الإدارية والاجتماعية لإمارة المدينة. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص٦٨.

(٤٦) الواقدي: المغازي، ج١، ص٤٤.

(٤٧) الصالحي: سبل الهدى، ج٤، ص٤٨ ؛ وبرهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ج٢، ص٣٩١، ٣٩٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

(٤٨) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٤٩ ؛ وابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٨٥ ؛ والطبري: تاريخ الرسل، ج٢، ص٥١٩، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

عائشة بالبيداء[٤٩]، أو بذات الجيش[٥٠]، وهي مع النبي ﷺ، فأقام ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، "وليسوا على ماء وليس معهم ماء"[٥١]، للبحث عن العقد حتى عثروا عليه، ثم أكملوا سيرهم.

وأراد أبو بكر وعمر أن ينزلا بالجيش - وقد سبقا النبي ﷺ - وهم في طريقهم إلى تبوك[٥٢] على الماء، فأبى ذلك عليهما بعض الصحابة، فكانت النتيجة أنهم نزلوا على غير ماء بفلاة من الأرض، فقال ﷺ: "أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر وعمر لرشدوا"[٥٣]، ويرجع ذلك إلى أن الفيافي التي كانوا يسيرون فيها كانت شحيحة المياه، يتضح ذلك من قوله ﷺ لهم: "إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء إن شاء الله غدًا"[٥٤].

(٤٩) البيداء: هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذو الحليفة تسمى اليوم "آبار علي". الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٣١٠، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط٨، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٩٩٦م؛ وابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٥١٥.

(٥٠) ذات الجيش: موضع من المدينة على بريد. البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٠. وذات الجيش: أصبح يسمى في هذا العهد: "مفرحات"، وهي على مسافة (٢٤كم) من المدينة. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص ٢٣٧.

(٥١) البخاري: الجامع الصحيح، ج٣، ص١٣٤٢، الحديث رقم ٣٤٦٩ ؛ ومسلم: صحيح مسلم، ج١، ص٢٧٩، الحديث رقم ٣٦٧.

(٥٢) تبوك: موضع بين الحجر وأول الشام. الحميري: الروض المعطار، ص١٣٠. وتبوك الآن قرب (دائرة عرض ٢٣ ٢٨ شمالاً، وخط طول٢٣ ٣٦ شرقًا)، وتبعد عن الحدود السعودية الأردنية بنحو (١٢٠كم). سيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٩٨، ط١، سلسلة الكتاب الجامعي (٦)، دار تهامة، جدة، ١٤٠١هـ.

(٥٣) الواقدي: المغازي، ج٣، ص١٠٤٠ .

(٥٤) مسلم: صحيح مسلم، ج١، ص٤٧٢، الحديث رقم ٦٨١.



٢ - نزول المسلمين على ماء غير صالح للشرب:

فربما تغير الماء لطول مكثه في الأرض وعدم تجدده، فيصبح غير صالح للاستعمال في الشرب، كما حدث لماء المهراس(٥٥)، الذي استقى منه علي بن أبي طالب للنبي ﷺ في غزوة أحد سنة (٣هـ/ ٦٢٥م)(٥٦)، وربما كان الماء ملحًا أجاجًا كما حدث في غزوة ذي قرد سنة (٧هـ/ ٦٢٨م)(٥٧).

٣ - نزولهم في مكان قليل الماء ونفاد ما معهم منه:

فعندما حبست ناقة النبي ﷺ عن دخول مكة في صلح الحديبية(٥٨) سنة (٦هـ/ ٦٢٨م)، تحول ﷺ حتى "نزل بالناس على ماء قليل يأخذ الناس منه قليلاً قليلاً، لو عليه خمسون شاة ما يرويها(٥٩)، فاشتكى الناس إليه ﷺ قلة

(٥٥) المهراس: ماء بجبل أحد، يجتمع من المطر في نقر كبار وصغار هناك، والمهراس: اسم لتلك النقر. السمهودي: وفاء الوفا، ج٤، ص١٣١٥. وهي اليوم مقيل للمتنزهين. عبدالقدوس الأنصاري: آثار المدينة، ص١٨٤.

(٥٦) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٤٩ ؛ وابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٨٥.

(٥٧) الكلاعي: الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ج٢، ص١٣٣، تحقيق: محمد كمال الدين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٤، ص١١٥٨.

(٥٨) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٩. والحديبية ليست من الحرم، وتبعد عن المسجد الحرام قرابة (٢٥كم)، وتعرف المنطقة حاليًا باسم: "الشميسي". سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص١٨٠.

(٥٩) ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص١٤٢.

الماء(٦٠)، وفي رواية ثانية: أنهم قالوا: "ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس"(٦١)، ولا تعارض بين الروايتين؛ لأن من نزلوا أولاً ممن كانوا في المقدمة استهلكوا جميع المياه، فلما نزل من كان في المؤخرة لم يجدوا ماء، ولذلك جاء في رواية ثالثة: "والحديبية بئرٌ فنزحناها فلم نترك فيها قطرة"(٦٢).

٤ - نهي النبي ﷺ عن الاستقاء من آبار القوم الظالمين:

لما مر الصحابة بالحجر(٦٣)، وهم في طريقهم إلى تبوك "استقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين"(٦٤)، وألا يتوضئوا من مائها للصلاة(٦٥)؛ خوفًا أن يصيبهم ما أصاب القوم الظالمين، لأنه لما لعن قوم ثمود أثرت لعنتهم في مياههم وأماكنهم(٦٦)، وجاءت ريحٌ شديدة ليلاً، فأصبح الناس ولا ماء

---

(٦٠) الزهري: المغازي النبوية، ص٥١، ٥٢، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م؛ والواقدي: المغازي، ج٢، ص٤٨٧.

(٦١) ابن حنبل: المسند، ج٤، ص٣٢٣، الحديث رقم ١٨٩٣٠.

(٦٢) ابن حبان: الصحيح، ج١١، ص١٢٦، الحديث رقم ٤٨٠١.

(٦٣) الحجر: بلد ثمود تقع بين الشام والحجاز. البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص ٦٤. وما زالت الحجر تعرف باسمها، وتقع قرب (دائرة عرض ٤٦ ٢٦ شمالاً، وخط طول ٥٦ شرقًا)، وهي اليوم تتبع إمارة "العلا" بمنطقة المدينة المنورة. سيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية، ص ٢٠٥.

(٦٤) البخاري: الجامع الصحيح، ج٤، ص١٥٢٥، الحديث رقم ٣٩١٩؛ ومسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٨٦، الحديث رقم ٢٩٨٠؛ وابن حبان: الصحيح، ج١٤، ص٨٢؛ الحديث رقم ٦٢٠٢.

(٦٥) الواقدي: المغازي، ج٣، ص١٠٠٧؛ وابن كثير: البداية، ج٥، ص١١.

(٦٦) الكلاعي: الاكتفاء، ج٢، ص٢٢٥.



معهم، وكان عددهم ثلاثين ألفًا والخيل عشرة آلاف فرس[٦٧]، الأمر الذي جعل أحد الباحثين[٦٨] يذهب إلى القول بأن الآبار طمرتها الرياح بالرمال فلم يبق بها ماء، متناسيًا نهي النبي ﷺ لأصحابه.

٥ - عدم اتباع أمر النبي ﷺ:

كذلك لما أشرف النبي ﷺ على تبوك نهى أصحابه عن مساس ماء عين تبوك[٦٩] حتى يأتيهم، فسبق إليها نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيها، فلما أتاها ﷺ ووقف عليها[٧٠] إذ العين مثل الشراك[٧١] تبض بشيء من ماء، فسألهما: "هل مسستما من مائها شيئًا؟ فقالا: نعم، فسبهما رسول الله ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول"[٧٢].

---

(٦٧) ابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٥٢٢؛ وابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٢٣٦؛ وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج٣، ص٥٣٣.

(٦٨) محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٣٦٥، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٦٩) عين تبوك: هذه العين في وادي المشقق، وهو من أودية الحجاز، كما ذكر ابن هشام، وكان فيه وشلٌ. ابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٥٢٧؛ وياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٣٥.

(٧٠) الكلاعي: الاكتفاء، ج٢، ص٢٢٩؛ وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج٣، ص٥٣٩؛ والصالحي: سبل الهدى، ج٥، ص٦٦٧.

(٧١) الشراك: هو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها. ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٢٢٥٠، مادة: (ش ر ك).

(٧٢) ابن حنبل: المسند، ج٥، ص٢٣٧، الحديث رقم ٢٢١٢٣؛ وابن خزيمة: الصحيح، ج٢، ص٨٢، الحديث رقم ٩٦٨؛ وابن حبان: الصحيح، ج٤، ص٤٦٩، الحديث رقم ١٥٩٥.

٦ - قلة الماء في الصيف:

جعلت قلة المياه في الفيافي في فصل الصيف أهل البادية لا يستقرون في مكان، وآية ذلك أن النبي ﷺ لما مر بالنقيع(٧٣) منصَرَفَه من غزوة المريسيع(٧٤) سنة (٥ هـ/٦٢٦م) ورأى "سعة وكلأ وغدرًا كثيرة تتناخس"(٧٥)، سأل أهل البادية عن الماء فقيل: "يا رسول الله إذا صفنا قلت المياه وذهبت الغدر"(٧٦).

كما أن نفرًا من بني سعد هذيم(٧٧)، قدموا على النبي ﷺ بتبوك، فقالوا: "يا رسول الله ﷺ إنا قدمنا عليك، وتركنا أهلنا على بئر لنا، قليل ماؤها، وهذا القيظ، ونحن نخاف إن تفرقنا أن نقتطع لأن الإسلام لم يَفْشُ حولنا"(٧٨)، في حين

(٧٣) النقيع : واد فحلٌ من أودية الحجاز، جنوب المدينة. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٣٠١.

(٧٤) المريسيع: اسم ماء من ناحية قديد. السمهودي: وفاء الوفا، ج٤، ص١٣٠٦. ويبعد حاليًا عن الطريق العام نحو (٥٠كم) وعن الساحل بنحو (٨٠كم). سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص٤٠٣.

(٧٥) غدرٌ تناخس: أي يصب بعضها في إثر بعض. ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٢١٧، مادة: (غ در).

(٧٦) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٤٢٥.

(٧٧) بنو سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة، هم: بنو سلامان، وبنو الحارث، وبنو ضبة، وبنو عذرة. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص٤٨٦، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٧٨) الواقدي: المغازي، ج٣، ص١٠٣٤؛ والصالحي: سبل الهدى، ج٥، ص٦٥٥، ٦٥٦.



كـان أهل صـداء[٧٩]، يتـفـرقـون على مـيـاه من حـولهـم من القبائل[٨٠].

وقـد بلغت مـشكلة المياه ذروتهـا في غـزوة تبـوك سنة (٩هـ/٦٣٠م) فـقـد خـرج النبي ﷺ للغـزو فـي وقت الصـيف حيث قلة المياه في الفيافي، و"في زمان قل ماؤها فيـه"[٨١]، فـأصـابهم العطش الشـديد، حـتى ظنوا أن رقـابهم سـتنقطع، حتى إن الرجل ليـذهـب يلتمس الماء فـلا يرجع حـتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه[٨٢] فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده[٨٣].

٧ - عدم جود ماء للتطهر من الحدث:

وقـد واجـهت هـذه المشكلة بعض المسلمين، سـواء ممن خـرجـوا للسـعي في الأرض والبـحث عن الرزق، أو من الذين

(٧٩) صـداء: قـبـيلة من اليـمن، وهـم من ولد حـرب بن علة بن جلد بن مـالك بن أدد. ابن حـزم: جـمـهـرة أنسـاب العـرب، ج٢، ص٤١٤؛ والسـمعاني: الأنسـاب، ج٣، ص٥٢٦، تحقيق: عبدالله عمر، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

(٨٠) الطبـراني: المعـجم الكبـيـر، ج٥، ص٢٦٢، تحـقـيق: حـمـدي بن عـبدالمجـيد السلفي، ط٢، مكتبـة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م؛ والصالحي: سبل الهدى، ج١٠، ص٣٥.

(٨١) ابن قيـم الجوزية: زاد المعاد، ج٣، ص٥٣٦؛ والصـالحي: سبـل الهدى، ج٥، ص٦٥٠.

(٨٢) الفـرث: بقـايا الطعـام في الكرش (ج) فـروث. مـجمـع اللغـة العـربيـة: المعجم الوجيز، ص٤٦٥، مادة: (ف ر ث).

(٨٣) ابن خـزيمـة: الصـحيـح، ج١، ص٥٣، الحـديث رقم١٠١؛ وابن حـبـان: الصحيح، ج٤، ص٢٢٣، الحديث رقم ١٣٨٣؛ والحاكم: المستدرك، ج١، ص٢٦٣، الحـديث رقم ٥٦٦، تحقيق: مـصطفى عبدالقـادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

خرجوا للغزو والجهاد في سبيل الله، فكان بعضهم يظل جُنُبًا لعدة أيام، وبعضهم يفوته ثواب الجماعة مع رسول الله ﷺ، بل ربما سوَّل الشيطان لبعضهم أن تلك الجنابة قد تكون سببًا في هزيمة المسلمين.

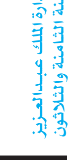
فقد أجنب أغلب الصحابة في غزوة بدر سنة (٢هـ/ ٦٢٤م)، فوسوس لهم الشيطان وخوفهم عدوهم(٨٤)، كما أن عمار بن ياسر خرج مع عمر بن الخطاب في سرية، فأجنبا فلم يجدا ماء، فأما عمر فلم يصل، وأما عمار فتمرغ في التراب وصلى(٨٥). وفي بعض أسفار(٨٦) النبي ﷺ صلى صلاة الصبح، فلما انصرف من صلاته، إذا هو برجل معتزل لم يصل فقال له: "ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟ قال: أصابتني جنابةٌ، ولا ماء"(٨٧).

(٨٤) الواقدي: المغازي، ج١، ص١٣٢؛ وابن هشام: السيرة النبوية، م١، ص٦٦٧؛ والصالحي: سبل الهدى، ج٤، ص٤٨؛ وبرهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ج٢، ص٣٩١، ٣٩٢.

(٨٥) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص١٢٩، الحديث رقم ٣٣١؛ ومسلم: صحيح مسلم، ج١، ص٢٨٠، الحديث رقم ٣٦٨؛ وابن الجارود: المنتقى، ج١، ص٤١، الحديث رقم ١٢٥.

(٨٦) اختلف في تعيين هذا السفر: ففي صحيح مسلم أنه وقع عند رجوعهم من خيبر، وفي سنن أبي داود أنه في العودة من الحديبية، وفي مصنف عبدالرزاق أن ذلك كان بطريق تبوك، وللبيهقي في الدلائل نحوه، وهذا يدل على تعدد القصة، والله أعلم. لمزيد من التفصيل انظر، ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٥٣٤.

(٨٧) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص١٣١، الحديث رقم ٣٣٧؛ وابن خزيمة: الصحيح، ج١، ص١٣٧، الحديث رقم ٢٧١؛ وابن حبان: الصحيح، ج٤، ص١٢٠، ١٢١، الحديث رقم ١٣٠١.



كما اجتمعت غنيمةٌ من الصدقة لأبي ذر عند النبي ﷺ، فقال له: "يا أبا ذر ابد فيها"، فكان يسرح بها في الربذة[٨٨]، فتصيبه الجنابة فيمكث الخمسة والستة أيام[٨٩]، دون أن يصيب ماء يتطهر به ليؤدي الفرائض.

يضاف إلى ما سبق مشكلة أخرى واجهت الصحابة الذين يعملون بالصيد في البحر؛ لقلة ما يحملونه معهم من الماء العذب، ورغبتهم في أداء ما افترض الله عليهم من صلوات، ولذا قالوا: "يا رسول الله ﷺ إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر؟"[٩٠].

ومما سبق يتبين لنا حجم مشكلة المياه التي واجهها النبي ﷺ، سواء في السفر، أو في الحضر، وهذه الأسباب لا تختلف كثيرًا عن أسباب مشكلة المياه التي تواجه كثيرًا من دول العالم في هذا العصر.

ثالثًا: التدابير التي اتخذها النبي ﷺ لحل مشكلة المياه

إن جملة التدابير التي اتخذها النبي ﷺ بشأن مشكلة المياه قد خففت من حدة معاناة المسلمين شحَّ المياه، سواء في

(٨٨) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤، وتقع الربذة في الشرف في عالية نجد على ضفة واد يأتي من صوب مطلع الشمس. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص٢٥٥، ٢٥٧.

(٨٩) أبو داود: السنن، ج١، ص٩٠، الحديث رقم ٣٣٢؛ وابن حبان: الصحيح، ج٤، ص١٣٥، الحديث رقم ١٣١١؛ والحاكم: المستدرك، ج١، ص٢٨٤، الحديث رقم ٦٢٧.

(٩٠) ابن حبان: الصحيح، ج٤، ص٤٩، الحديث رقم١٢٤٣؛ والحاكم: المستدرك، ج١، ص٢٣٧، الحديث رقم ٤٩٢.

المدينة أو في خارجها، وهذه التدابير منها ما كان وقتيًا، ومنها ما كان طويل الأمد، ويمكن تناولها من عدة جوانب، منها:

(أ) الجانب التشريعي:

تناول التشريع الحنيف مشكلة المياه من جوانب عدة من خلال ما جاء به من أوامر ونواه، وقدم لها كثيرًا من الحلول التي كان النبي ﷺ يعلمها لمن آمن به واتبع دعوته، نستعرض منها ما يأتي:

١ - الأوامر والنواهي:

فقد رغَّب النبي ﷺ في سقي الماء بقوله: "من سقى مسلمًا شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة، ومن سقى مسلمًا شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها"(٩١)، كما أنه بيَّنَ عظم أجر الإنسان إذا سقى حيوانًا - وإن لم يملكه - فقال ﷺ لمن سأله عن ذلك: "في كل ذات كبد حرى أجرٌ"(٩٢)، إضافة إلى ترهيب الذين يبخلون بالماء بالعذاب الأليم في الآخرة، بقوله ﷺ: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ، رجلٌ كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل..."(٩٣).

(٩١) ابن ماجه: السنن، ج٢، ص٨٢٦، الحديث رقم ٢٤٧٤، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت (د. ت).

(٩٢) ابن حنبل: المسند، ج٢، ص٢٢٢، الحديث رقم ٧٠٧٥.

(٩٣) البخاري: الجامع الصحيح، ج٢، ص٨٣١، الحديث رقم ٢٢٣٠؛ وأبو داود: السنن، ج٣، ص٢٧٧، الحديث رقم ٣٤٧٤؛ والنسائي: السنن الكبرى، ج٣، ص٤٩٢، الحديث رقم ٦٠٢٠.



كذلك لا ننسى نهي النبي ﷺ عن منع فضل الماء الزائد عن الحاجة، وبيانه أن المسلمين شركاء في ثلاث منها: "لا يمنع نقع ماء في بئر"(٩٤)، وحينما سئل ﷺ عن "الشيء الذي لا يحل منعه، قال: الماء"(٩٥).

يضاف إلى ما سبق ما اتخذه النبي ﷺ من تدابير وقائية تمثلت في نهيه ﷺ عن تلويث المياه بقضاء الحاجة فيها، حتى تظل صالحة للشرب والطهارة، وحتى لا يتحول هذا الماء إلى بؤرة للأمراض والجراثيم، فقال ﷺ: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه"(٩٦)، وفي رواية: "ثم يتوضأ منه أو يشرب"(٩٧)، وكذلك نهيه ﷺ عن الإسراف في الماء والأمر بالاقتصاد فيه، ولو كان الإنسان على شاطئ البحر، فقد مر النبي ﷺ بسعد بن أبي وقاص، وهو يتوضأ، فقال له: "ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار"(٩٨)، وإذا كان هذا النهي في باب العبادات فمن باب أولى أن يكون في

---

(٩٤) ابن حنبل: المسند، ج٦، ص٢٥٢، الحديث رقم ٢٦١٩٠.

(٩٥) ابن ماجه: السنن، ج٢، ص٨٢٦، الحديث رقم ٢٤٧٤؛ وأبو داود: السنن، ج٢، ص١٢٧، الحديث رقم ١٦٦٩.

(٩٦) مسلم: صحيح مسلم، ج١، ص٢٣٥، الحديث رقم ٢٨١؛ وأبو داود: السنن، ج١، ص١٨، الحديث رقم ٦٩؛ وابن خزيمة: الصحيح، ج١، ص٣٧، الحديث رقم ٦٦.

(٩٧) ابن خزيمة: الصحيح، ج١، ص٣٧، الحديث رقم ٩٤؛ وابن حبان: الصحيح، ج٤، ص٦٧، الحديث رقم ١٢٥٦.

(٩٨) ابن حنبل: المسند، ج٢، ص٢٢١، الحديث رقم ٧٠٦٥؛ وابن ماجه: السنن، ج١، ص١٤٧، الحديث رقم ٤٢٥.

العادات، وبذلك نحافظ على قطرات المياه التي تسد حاجتنا وزيادة.

٢ - الأحكام:

تيسيرًا من الله عز وجل لعباده في أداء ما افترضه عليهم من عبادات، أنزل الرخصة في التيمم عند فقد الماء بعد غزوة المريسيع سنة (٥هـ/ ٦٢٦م)(٩٩)، فكان النبي ﷺ يعلمه لأصحابه، فيقول: لعمار بن ياسر - وقد تمرغ في الصعيد كما تمرغ الدابة - إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا(١٠٠)، "وضرب بيديه إلى التراب، ثم نفضهما، ثم نفخ فيهما ومسح بهما وجهه ويديه"(١٠١)، وقال للذي اعتزل الناس في الصلاة: "عليك بالصعيد فإنه يكفيك"(١٠٢)، وقال لأبي ذر: "الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسه جلدك فإن ذلك خير"(١٠٣).

(٩٩) ابن ماجه: السنن، ج١، ص١٨٧، الحديث رقم ٥٦٦؛ وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج٣، ص٢٥٨؛ والسيوطي: لباب النقول، ص٨٨، دار إحياء العلوم، بيروت (د.ت).

(١٠٠) مسلم: صحيح مسلم، ج١، ص٢٨٠، الحديث رقم ٣٦٨.

(١٠١) ابن خزيمة: الصحيح، ج١، ص١٣٥، الحديث رقم ٢٦٩.

(١٠٢) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص١٣١، الحديث رقم ٣٣٧؛ والنسائي: السنن الكبرى، ج١، ص١٣٦، الحديث رقم ٣١٠؛ وابن حبان: الصحيح، ج٤، ص١٢١، الحديث رقم ١٣٠١.

(١٠٣) أبو داود: السنن، ج١، ص٩٠، الحديث رقم ٣٣٢؛ وابن حبان: الصحيح، ج٤، ص١٣٥، الحديث رقم ١٣١١؛ والحاكم: المستدرك، ج١، ص٢٨٤، الحديث رقم ٦٢٧.



كذلك أوضح ﷺ حكم الماء إذا خالطته نجاسة، لم تؤثر في لونه أو طعمه أو ريحه حين سئل عن بئر بضاعة، بقوله: "الماء طهورٌ لا ينجسه شيء"[(١٠٤)]؛ وذلك لأن هذه البئر كانت جارية، "ولها منفذ إلى بساتينهم، ويسقى منها خمسة بساتين أو سبعة"[(١٠٥)]، وحينما "انتهى النبي ﷺ إلى بعض أزواجه، وقد فضل من غسلها فضلٌ، فأراد أن يتوضأ به، فقالت: يا رسول الله إني اغتسلت منه من جنابة. فقال: إن الماء لا ينجس"[(١٠٦)]، يضاف إلى ما سبقَ بيانُه ﷺ جوازَ التطهر بماء البحر، فقال للسائل: "هو الطهور ماؤه الحل ميتته"[(١٠٧)].

كما أنه ﷺ علم المسلمين صلاة الاستسقاء، والتضرع إلى الله عند انحباس المطر، حتى يرسل الله عز وجل السماء عليهم مدرارًا، سواء أكان ذلك بالدعاء، كما رفع ﷺ يديه وهو على المنبر، وقال: "اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا"[(١٠٨)]، أم من طريق الصلاة في الفضاء كما جاء في

(١٠٤) ابن حنبل: المسند، ج٣، ص٣١، الحديث رقم ١١٢٧٥؛ والترمذي: السنن، ج١، ص٩٦، الحديث رقم ٦٦؛ وابن الجارود: المنتقى، ج١، ص٢٤، الحديث رقم ٤٧.

(١٠٥) بدر الدين العيني: شرح سنن أبي داود، ج١، ص٢٠١.

(١٠٦) ابن الجارود: المنتقى، ج١، ص٢٤، الحديث رقم ٤٨.

(١٠٧) ابن ماجه: السنن، ج١، ص١٣٦، الحديث رقم ٣٨٦؛ وابن خزيمة: الصحيح، ج١، ص٥٩، الحديث رقم ١١١؛ والحاكم: المستدرك، ج٣، ص١٦، الحديث رقم ٤٢٩٠.

(١٠٨) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص٣٤٣، الحديث رقم ٩٦٧؛ وابن حبان: الصحيح، ج٣، ص٢٧٢، ٢٧٣، الحديث رقم ٩٩٢ .

رواية ثانية: "حتى جعل يهم[١٠٩] القريب الدار الرجوع إلى أهله من شدة المطر" الذي استمر سبعة أيام لا ينقطع حتى تهدمت بعض البيوت، وأعاق السير فاحتبس الركبان، فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ وهو يخطب في يوم الجمعة التالية: "يا نبي الله، ادع الله أن يحبسها عنا. فضحك نبي الله ﷺ[١١٠]، فرفع يديه فقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة[١١١]، وسال الوادي قناة[١١٢] شهرًا، ولم يجئ أحدٌ من ناحية إلا حدث بالجود"[١١٣].

٣ - القضاء:

كان النبي ﷺ حاكم المدينة وقاضيها، وقد كانت ترفع إليه القضايا التي تنشب على المياه - وغيرها - فكان يحكم بين المتخاصمين بما أراه الله، فعندما نشبت خصومةٌ بين الأشعث

(١٠٩) يهم هَمًّا: نواه وأراده وعزم عليه. ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٤٧٠٣، مادة: (هـ م م).

(١١٠) ابن حنبل: المسند، ج٣، ص ١٨٧، ٢٦١، الحديث رقم ١٢٩٧٢، ورقم ١٣٧٦٩.

(١١١) الجوبة: بفتح الجيم ثم الموحدة وهي الحفرة المستديرة الواسعة، والمراد بها هنا الفرجة في السحاب. ابن حجر: فتح الباري، ج٢، ص٥٨٧.

(١١٢) قناة: بفتح القاف والنون الخفيفة أحد أودية المدينة المشهورة. ابن حجر: فتح الباري، ج٢، ص٥٨٨. وما كان أعلى من سد الحرة من هذا الوادي يسمى "الشظاة"، وما كان أسفل السد يسمى قناة. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص٣٦٨.

(١١٣) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص٣١٥، الحديث رقم ٨٩١؛ والنسائي: السنن الكبرى، ج١، ص٥٦٤، الحديث رقم ١٨٣٩؛ وابن الجارود: المنتقى، ج١، ص٧٥، الحديث رقم ٢٥٦.



بن قيس[١١٤] ورجل[١١٥] في أحقية أحدهم لبئر من الآبار، قال ﷺ للأشعث: "شاهداك أو يمينه". فقال: "إنه إذًا يحلف ولا يبالي، فقال ﷺ: "من حلف على يمين يستحق بها مالاً وهو فيها فاجرٌ لقي الله وهو عليه غضبان"[١١٦]، وأنزل الله تصديق ذلك: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[١١٧].

كذلك نشب شجار بين الزبير بن العوام، ورجل من الأنصار على نصيب كل منهما من ماء السيل الذي يسقون به النخل في شراج من الحرة[١١٨]، فقال ﷺ للزبير: "اسق يا زبير، ثم أرسل

---

(١١٤) الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أمير كندة في الجاهلية والإسلام، كان من ذوي الرأي والإقدام، موصوفًا بالهيبة، ووفد على النبي ﷺ في جمع من قومه، فأسلم، وشهد اليرموك، وأخباره كثيرة في الفتوح الإسلامية، توفي سنة (٤٠هـ/ ٦٦١م). ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٢٣؛ والزركلي: الأعلام، ط١٢، ج١، ص٣٣٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧م.

(١١٥) ابن ماجه: السنن، ج٢، ص٨٣٠، الحديث رقم ٢٤٨٢؛ والبلاذري: فتوح البلدان، ج١، ص٢٤، تحقيق: رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ؛ وقدامة بن جعفر: الخراج، ص٢٤٦، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م؛ والحاكم: المستدرك، ج٢، ص٧١، الحديث رقم ٢٣٦٢.

(١١٦) البخاري: الجامع الصحيح، ج٢، ص٨٨٩، الحديث رقم ٢٣٨٠.

(١١٧) سورة آل عمران، الآية ٧٧.

(١١٨) شراج الحرة: جمع شرج، ويجمع على شروج أيضًا، والمراد بها هنا مسيل الماء، وإنما أضيفت إلى الحرة لكونها فيها، والحرة موضع معروف بالمدينة، وهي في خمسة مواضع: المشهور منها اثنتان الحرة الشرقية، وكانت تسمى بحرة واقم، والحرة الغربية. ابن حجر: فتح الباري، ج٥، ص٤٤، ٤٥.

الماء إلى جارك، فغضب الأنصاري فقال: إن كان ابن عمتك!؟ فتلوّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال: اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك"(١١٩): ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(١٢٠)، كما قضى النبي ﷺ في سيل أودية المدينة - مهزور، ومذينيب، وبطحان - أن يحبس الماء حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسل الأعلى على الأسفل(١٢١)، وليس هذا القضاء منه ﷺ على العموم في الأزمان والبلدان؛ لأنه مقدرٌ بالحاجة(١٢٢).

(ب) الأخذ بالأسباب:

لما كان الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، فإن إمام المتوكلين ﷺ حرص على أن يأخذ بكل الوسائل المادية المتاحة في عصره لتوفير المياه للمسلمين، ومنها:

١ - شراء الآبار:

دعا النبي ﷺ الأثرياء من المسلمين لشراء الآبار، والتصدق بها على إخوانهم، من الأغنياء والفقراء وأبناء السبيل(١٢٣)، فقال: "من يبتاع بئر رومة"؟ يقول عثمان بن عفان:

(١١٩) البخاري: الجامع الصحيح، ج٢، ص٨٣٢، الحديث رقم ٢٢٣١.

(١٢٠) سورة النساء، الآية ٦٥.

(١٢١) ابن ماجه: السنن، ج٢، ص٨٣٠، الحديث رقم ٢٤٨٢؛ والبلاذري: فتوح البلدان، ج١، ص٢٤؛ وقدامة بن جعفر: الخراج، ص٢٤٦؛ والحاكم: المستدرك، ج٢، ص٧١، الحديث رقم ٢٣٦٢.

(١٢٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٥٦، ط١، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

(١٢٣) ابن شبة: تاريخ المدينة، ج١، ص٩٨.



"فابتعتها ... فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعتها. فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك"(١٢٤)، وكان عثمان قد اشتراها بعشرين ألفًا أو بخمسة وعشرين ألفًا، وقيل: بأربعين ألفًا (١٢٥)، وهذا الاختلاف في ثمن البئر يدل على مدى أهمية مائها، إضافةً إلى كلفة حفر الآبار(١٢٦)، وأن المياه لم تكن قريبة من سطح الأرض، ومن الممكن الحصول عليها بسهولة بحفر آبار في البيوت، كما يرى الدكتور جواد علي(١٢٧)، وإنما كانت بعيدة، وتحتاج إلى حفر الآبار العميقة(١٢٨).

وعلى كل حال فقد أتى النبي ﷺ بئر رومة فدعا بدلو من مائها فشرب منه وقال: "هذا النقاخ(١٢٩)، أما إن هذا الوادي ستستكثر مياهه ويعذبون، وبئر المزني(١٣٠) أعذبها"(١٣١).

---

(١٢٤) ابن حنبل: المسند، ج١، ص٧٠، الحديث رقم ٥١١؛ وابن حبان: الصحيح، ج١٥، ص٣٦٢، الحديث رقم ٦٩٢٠.

(١٢٥) ابن شبة: تاريخ المدينة، ج١، ص٩٨؛ والدارقطني: السنن، ج٤، ص١٩٥، الحديث رقم ١؛ وابن حجر: فتح الباري، ج٥، ص ٤٧٨؛ وبرهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ج٢، ص٢٦٧.

(١٢٦) صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص١٥٦.

(١٢٧) جواد علي: المفصل، ج٧، ص١٣٢.

(١٢٨) عبدالله عبدالعزيز بن إدريس: مجتمع المدينة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢١.

(١٢٩) النقاخ: بالضم الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده. الرازي: مختار الصحاح، ص٦٧٥، مادة: (ن ق خ).

(١٣٠) قيل: إن الذي احتفر بئر رومة كان رجلاً من مزينة، ثم صارت لرجل من غفار، ثم صارت لرجل من اليهود. السمهودي: وفاء الوفا، ج٣، ص٩٧٠. وهذه البئر تقع في وسط وادي العقيق من أسفله، ولم يبق منها اليوم إلا أثرها. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص٥٥.

(١٣١) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٦٩٥.

ورغب خلاد بن عمرو بن الجموح(١٣٢) في أن يشتري بئر السقيا وكانت ملكًا لذكوان بن عبد قيس(١٣٣)، فسبقه إليها سعد بن أبي وقاص فاشتراها ببكرين، ويقال: بسبع أواق، فذكر للنبي ﷺ أن سعدًا اشتراها، فقال: "ربح البيع"(١٣٤)، كما اشترى طلحة بن عبيدالله، ماء بيسان الذي سماه النبي ﷺ "نعمان" وتصدق به، فقال النبي ﷺ: "ما أنت يا طلحة إلا فياض"، فسمي لذلك طلحة الفياض(١٣٥).

٢ - البحث عن مصادر جديدة للمياه:

دعت ملوحة مياه المدينة بعض أهلها إلى البحث عن مصادر للمياه العذبة في خارج نطاق المنطقة السكانية، وكان في مقدمة هؤلاء النبي ﷺ فعندما رجع - يومًا - من وادي العقيق(١٣٦)،

(١٣٢) خلاد بن عمرو بن الجموح: شهد بدرًا وأحدًا، وليس له عقب. ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٥٧٤.

(١٣٣) ذكوان بن عبد قيس بن خلدة: يكنى بأبي سبع، يقال: إنه أول الأنصار إسلامًا، وشهد العقبتين، وهاجر من مكة إلى المدينة فكان مهاجرًا أنصاريًا، شهد بدرًا، وقتل يوم أحد. ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٦٠٤، ٦٠٥؛ وابن كثير: البداية، ج٣، ص١٦٥.

(١٣٤) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٣؛ وابن شبة: تاريخ المدينة، ج١، ص١٠٢.

(١٣٥) البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٢٦٥؛ والحميري: الروض المعطار، ج١، ص١٢٠؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٤، ص ١١٥٨، ١١٥٩.

(١٣٦) العقيق: اسم جنس لكل واد شقه السيل وأنهره، وهو واد مشهور في المدينة، قيل: على ميلين منها، وقيل: على ثلاثة، وقيل: على ستة أو سبعة، وهما عقيقان: أصغر، وأكبر، فالأصغر فيه بئر رومة، والأكبر فيه بئر عروة. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٣٨، ١٣٩.



قال لزوجه: "يا عائشة جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطئه، وأعذب ماءه، فقالت: يا رسول الله ﷺ أفلا ننقل إليه؟ فقال: كيف وقد ابتنى الناس؟"(١٣٧).

يضاف إلى ما سبق حثه ﷺ على حفر الآبار، وجعله هذا العمل من أفضل الصدقات، فقال ﷺ: "من حفر ماء لم يشرب كبدٌ حيٌّ من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة"(١٣٨)، ولما ماتت أم سعد بن عبادة، جاء سعد ليسأل النبي ﷺ عن أفضل الصدقات ليخرجها عن أمه، فقال له: "الماء... فحفر بئرًا، وقال: هذه لأم سعد"(١٣٩). ووضع جرارًا كان يسقي الناس فيها الماء عند الدار التي يقال: لها جرار سعد(١٤٠).

ولما أخبر ﷺ بقلة المياه في الصيف بالنقيع أمر "حاطب بن أبي بلتعة أن يحفر بئرًا"(١٤١) في تلك المنطقة، كما نقر النبي ﷺ العيينة التي عند كهف بني حرام(١٤٢)، مدة مقامه فيه أيام الخندق سنة (٥هـ/٦٢٧م)، فلم تزل تجري بالماء الغزير، وتعرف بـ: "عين النبي"(١٤٣)، كذلك لما هور الحارث بن

---

(١٣٧) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص٣٣٩.

(١٣٨) ابن خزيمة: الصحيح، ج٢، ص٢٦٩، الحديث رقم ١٢٩٢.

(١٣٩) أبو داود: السنن، ج٢، ص١٣٠، الحديث رقم ١٦٨١.

(١٤٠) السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص٢٠٩.

(١٤١) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٤٢٥؛ والصالحي: سبل الهدى، ج٤، ص٤٩٩.

(١٤٢) بنو حرام: قبيلة تنتمي لسليم. ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٨٥.

(١٤٣) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص٣٤٥؛ وابن الضياء: تاريخ مكة، ص٢٥٠.

قيس(١٤٤)، بئر ذروان(١٤٥)، وكان يستعذب منها الماء، وحفر بئرًا أخرى أعانه النبي ﷺ وأصحابه على حفرها حتى استنبطوا ماءها، ثم تهورت بعد ذلك(١٤٦).

٣ - بناء السدود:

حرص النبي ﷺ على الإفادة من مياه الأمطار فأمر ببناء سد بالقرب من جبل شوران(١٤٧)، يقول عرام: "السد ماء سماء أمر رسول الله ﷺ بسده"(١٤٨)، وأمر بمده إلى قباء(١٤٩).

(١٤٤) الحارث بن قيس بن خلدة بن مخلد الأنصاري الزرقي: شهد العقبة وبدرًا وغير ذلك من المشاهد، وجرح باليمامة جراحات فانتقضت عليه في خلافة عمر بن الخطاب، فمات منها. ابن حجر: الإصابة، ج٧، ص١٠٣.

(١٤٥) بئر ذروان: تقع في منازل بني زريق بالمدينة، وهي البئر التي وضع فيها لبيد بن الأعصم اليهودي السحر للنبي ﷺ. البخاري: الجامع الصحيح، ج٣، ص١١٩٢، الحديث رقم ٣٠٩٥؛ وياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٩٩. والشائع أنها البئر المطمومة أمام محلة النخاولة الآن. عبدالقدوس الأنصاري: آثار المدينة، ص٢٥٤.

(١٤٦) ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٢٨٦؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٤، ص١١٣٨.

(١٤٧) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٩٧.

(١٤٨) عرام بن الأصبغ السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة، ص٣١، تحقيق: محمد صالح شناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(١٤٩) محمد محمود محمدين: الزراعة والري في الحجاز في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، ص٣٢٤، بحث نشر ضمن أبحاث تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، ط١، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.



٤ - اختيار أفضل الآبار وبناء الحياض عليها:

ويتضح ذلك من أَخْذِ النبي ﷺ برأي الخبير بجغرافية الأرض التي ستدور عليها المعركة، وأي الآبار أكثر مياهًا وأعذب من غيرها، كما حدث في غزوة بدر سنة (٢هـ/ ٦٢٤م) حين أخذ النبي ﷺ بمشورة الحباب بن المنذر[١٥٠]، فنهض من المكان الذي نزل فيه أولاً فسار - ومعه الناس - حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب[١٥١] فغورت، وبنى حوضًا على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية[١٥٢]، وقد تمت عملية السيطرة على مصادر المياه ليلاً؛ وهو ما كان له أثر كبير في سير المعركة[١٥٣].

وبذلك حمى النبي ﷺ المسلمين من أن تعرض لهم أزمة في المياه إذا ما ظلوا في موضعهم الذي نزلوه أول مرة، تلك الأزمة التي دفعت مجموعة من جيش قريش وفرسانهم إلى

(١٥٠) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري: من الشجعان الشعراء، يقال له: ذو الرأي، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وتوفي نحو سنة (٢٠هـ/٦٤٠م). ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٥٧٤، ٥٧٦.

(١٥١) القليب: البئر قبل أن تطوى بالحجارة. ابن سيده: المخصص، ج٣، ص٢٤، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(١٥٢) الواقدي: المغازي، ج١، ص٥٣؛ وابن هشام: السيرة النبوية، م١، ص٦٢٠؛ والكلاعي: الاكتفاء، ج٢، ص١٧؛ وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج٣، ص١٧٥.

(١٥٣) طه عثمان الفرا: جغرافية موقعة بدر، ص١٢٨، بحث نشر ضمن أبحاث تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، ط١، جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

التقدم نحو حوض المسلمين ليشربوا منه، أو ليهدموه حتى لا يهلكوا من شدة العطش، فلقوا حتفهم في أرض المعركة إلا رجلاً واحدًا أكرمه الله بالإسلام بعد ذلك(١٥٤).

٥ - الإفادة من الحياض التي في طريقهم:

ومن التدابير التي اتخذها النبي ﷺ للقضاء على مشكلة المياه في الفيافي، نزولهم بجوار الحياض التي تتجمع فيها مياه الأمطار والإفادة منها، كما حدث في طريق عودته ﷺ من غزوة المريسيع سنة (٥هـ/ ٦٢٦م)(١٥٥).

يضاف إلى ذلك ملء تلك الأحواض بالمياه التي تكفي جماعة المسلمين قبل نزولهم في المكان، وآية ذلك قوله ﷺ لأصحابه - وقد دنوا من ماء من مياه العرب -: "من رجل يتقدمنا فيرد الحوض فيشرب ويسقينا"، فانطلق رجلان إلى البئر، فجعلا ينزعان في الحوض حتى ملآه(١٥٦)، في حين كان ممن استقى للمسلمين في غزوة بدر سنة (٢هـ/ ٦٢٤م) في الحياض علي بن أبي طالب(١٥٧).

٦ - إرسال أناس للبحث عن الماء:

كذلك كان النبي ﷺ يحرص على ارتياد المواضع لنزول الجيش، ويرسل رجالاً من أصحابه للبحث عن الماء لكيلا

(١٥٤) ابن هشام: السيرة النبوية، م١، ص٦٢٢؛ وبرهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ج٢، ص٤٠٠.

(١٥٥) ابن حنبل: المسند، ج٣، ص١٩٥، الحديث رقم ١٣٠٤٦؛ ومسلم: صحيح مسلم، ج٢، ص١٠٤٧، الحديث رقم ١٣٦٥.

(١٥٦) ابن حبان: الصحيح، ج٥، ص٥٧٢، ٥٧٣، الحديث رقم ٢١٩٧.

(١٥٧) الواقدي: المغازي، ج١، ص٥٧.



يهلك الناس بنزولهم في الفيافي على غير ماء، يقول عكرمة بن أبي جهل: "خرجت الخيل في كل وجه يطلبون الماء - في غزوة تبوك (سنة ٩هـ/ ٦٣٠م) - وكان أول من طلع به وبخبره صاحب فرس أشقر[١٥٨]، ثم الثاني: أشقر، ثم الثالث: أشقر، فقال رسول الله ﷺ: اللهم بارك في الشقر[١٥٩].

٧ - النص في معاهدات أهل الذمة على توفيرهم المياه للمسلمين:

كان النبي ﷺ يدرك خطر مشكلة المياه على حياة المسلمين، ولذا لما قدم عليه بتبوك يحنة بن رؤبة[١٦٠] ليصالحه عن قومه من أهل أيلة[١٦١] كان من بين بنود المعاهدة "... وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقًا

(١٥٨) الشقرة: لون للإنسان وللخيل، وهو في الإنسان حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض، وفي الخيل حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب. الرازي: مختار الصحاح، ص٣٤٣، مادة: (ش ق ر).

(١٥٩) الواقدي: المغازي، ج٣، ص١٠٤٢، ونص الحديث: "يمن الخيل في الشقر". الترمذي: السنن، ج٤، ص٢٠٣، الحديث رقم ١٦٩٥، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)؛ والصالحي: سبل الهدى، ج٧، ص٦٣١.

(١٦٠) يحنة بن رؤبة، ويقال: يوحنا بن روبة، ملك أيلة، وقيل: أسقف المدينة، كتب إليه ﷺ يدعوه إلى طاعته، فقدم عليه وهو في تبوك فصالحه عن قومه، وأعطاه الجزية. ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٢٩٤، ٢٩٥، ٤١٢؛ والمسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٣٦، تحقيق: عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، (د. ت).

(١٦١) أيلة: مدينة جليلة على ساحل البحر الملح - الأحمر حاليًا - وهي أول حد الحجاز. الحميري: الروض المعطار، ص٧٠. وتعرف المدينة اليوم باسم "العقبة" ميناء المملكة الأردنية الهاشمية. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص٤٦.

يريدونه من بر أو بحـر"[١٦٢]، ويتـضح من هذا الشـرط أن النبي ﷺ تنبه لخطورة مشكلة المياه التي واجهت المسلمين في تلك البقاع - وقد تواجههم في المستقبل، أثناء نشرهم للإسلام - فنص على توفيره لهم في المعاهدات التي أبرمها مع القاطنين في نواحي تبوك، إضافة إلى حرمة أموال أهل الذمة - ومنها المياه -؛ لأنهم إذا أدوا الجزية لم يحل شيء من أموالهم إلا بطيب أنفسهم[١٦٣].

٨ - حمل المياه إلى أرض المعركة:

وفي المواطن التي لا يوجد بها ماء كان النبي ﷺ يحرص على توفير المياه من طريق نقلها للمجاهدين في تلك البقاع، ففي يوم أحد سنة (٣هـ/٦٢٥م) كانت فرقة من النساء، منهن أم المؤمنين عائشة، وأم سليم[١٦٤]، وحمنة بنت جحش[١٦٥]،

(١٦٢) ابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٥٢٥، ٥٢٦؛ وابن سلام: الأموال، ص٢٨٥، تحقيق: محمد عمارة، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م؛ والكلاعي: الاكتفاء، ج٢، ص٢٢٨؛ وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج٣، ص٥٣٧.

(١٦٣) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج٦، ص٥٢٤، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

(١٦٤) أم سليم بنت ملحان بنٍ خالد: أم أنس بن مالك، أسلمت مع قومها، وشهدت أحدًا وحنينًا، ومناقبها كثيرة. ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٤٦٣، ٤٧٥؛ والمزي: تهذيب الكمال، ج٣٥، ص ٣٦٥، ٣٦٦، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(١٦٥) حمنة بنت جحش الأسدية: زوج مصعب بن عمير، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها طلحة بن عبيدالله، كانت من المبايعات، وشهدت أحدًا. ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٢٧٩، ٢٨٠؛ وابن حجر: الإصابة، ج٧، ص٥٨٦.



يحملن على ظهورهن القرب يسقين العطشى، في حين كانت أم أيمن(١٦٦) تسقي الجرحى، كما ذهب محمدٌ بن مسلمة(١٦٧) إلى "قناة وأخذ سقاءه حتى استقى من حسي(١٦٨) قناة... فأتى بماء عذب" فشرب منه رسول الله ﷺ(١٦٩).

ولما نزل النبي ﷺ الجحفة(١٧٠) - وهو في طريقه إلى مكة سنة (٦هـ/٦٢٨م) - فلم يجد بها ماء، بعث رجالاً في الروايا إلى الخرار(١٧١)، فاستقوا، ثم أقبلوا بالماء إلى المسلمين(١٧٢).

(١٦٦) أم أيمن: حاضنة النبي ﷺ اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو، غلبت عليها كنيتها، وهي بعد أم أسامة بن زيد، هاجرت الهجرتين، وشهدت أحدًا وخيبر، وتوفيت في خلافة عثمان. المزي: تهذيب الكمال، ج٣٥، ص٣٢٩، ٣٣٠؛ وابن حجر: الإصابة، ج٨، ص١٦٩، ١٧٢.

(١٦٧) محمد بن مسلمة الأنصاري: شهد بدرًا، واستخلفه ﷺ على المدينة في غزوة تبوك، اعتزل الفتنة في أيام علي، وتوفي سنة (٤٣هـ/٦٦٣م). ابن قتيبة: المعارف، ص٢٦٩؛ والمزي: تهذيب الكمال، ج٢٦، ص٤٥٦، ٤٥٩.

(١٦٨) الحسى والحسي: السهل من الأرض يستنقع فيه الماء. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص١٥٢، مادة: (ح س ى).

(١٦٩) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٤٩، ٢٥٠.

(١٧٠) الجحفة: قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة. الحميري: الروض المعطار، ص ١٥٦؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٤، ص ١١٧٤. وقد درست الآن ولم يبق منها سوى آثارها، ويحرم الحاج في الوقت الحاضر من "رابغ". سعد بن عبدالله ابن جنيدل: معجم الأمكنة، ص١٤٠.

(١٧١) الخرار: على وزن "فعال"، هو وادي الحجاز يصب في الجحفة. البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص١٢١؛ وياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٠.

(١٧٢) الواقدي: المغازي، ج٢، ص ٥٧٨.

(ج) معجزات النبي ﷺ:

فـالنبـي ﷺ هو صــاحب الآيات وخـوارق العـادات، التي أسـهـمت فـي حل كـثـيـر من المشكلات المائيـة التي عـرضت للمسلمين في عهده[١٧٣]، والتي لو حدثت في عصرنا الحالي لاحتجنا إلى أموال ضخمة، وإمكانات كبيرة لحلها[١٧٤]، وربما عجزنا عن ذلك، ونذكر من تلك المعجزات - على سبيل المثال لا الحصر - ما يأتي:

نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ في مواطن عدة في المدينة، وفي خارجها في ساحات الجهاد في سبيل الله، فكان النبي ﷺ يضع أصـابعـه فـي قليل من الماء فـي بعض الآنيـة فـيـرى الصـحـابـة "الماء يتـفـجـر من بـين أصـابعـه"، "كـأمـثـال العيون"[١٧٥]، وقد كان هذا الماء يكفي جميع المسلمين وزيادة مهما كانت أعدادهم، سواء كانوا ستين - كما جاء في بعض الروايات - أم كـانوا ألفًا وخمـسـمـئـة - كما جاء في روايات أخرى. ولو كانوا مئة ألف لكفاهم[١٧٦].

(١٧٣) يمكن مطالعة هذه المعـجـزات بالتـفـصـيل في: الصـالحـي: سـبل الهدى، ج١٠، ص١٣، ٤٧.

(١٧٤) قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية للرسول، ص١٠٨، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.

(١٧٥) ابن حنبل: المسند، ج١، ص٤٠١، ج٣، ص٣٢٩، الحديث رقم٢٨٠٧، ورقم ١٤٥٦٢؛ والبـخـاري: الجـامع الصـحـيح، ج٤، ص١٥٢٦، ج٥، ص٢١٣٥، الحديث رقم ٣٩٢١، ورقم ٥٣١٦؛ وابن خـزيمة: الصحيح، ج١، ص٦٥، الحديث رقم ١٢٥.

(١٧٦) ابن حنبل: المسند، ج٣، ص٣٢٩، الحديث رقم ١٤٥٦٢؛ والبخاري: الجـامع الصـحـيح، ج٤، ص١٥٢٦، الحـديث رقم ٣٩٢١؛ والنسـائي: السنن الكبرى، ج١، ص٨١، الحديث رقم ٨٤؛ وابن خزيمة: الصحيح، ج١، ص٦٥، الحديث رقم ١٢٥.



وقد تكون المعجزة في التضرع إلى الله عز وجل كما حدث في غزوة تبوك فما برح ﷺ يدعو وما في السماء سحابٌ حتى تجمع من كل ناحية، فما رام مقامه حتى سحت عليهم، حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء، ولم يجاوز المطر العسكر، وقد جاء هذا الدعاء استجابة لرغبة الصديق في كشف الغمة التي أصابت المسلمين في تلك الغزوة(١٧٧). وكذلك عندما أتى النبي ﷺ عين تبوك ووجد المنافقين قد نزحوها فغرف له الصحابة بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع شيء قليل من الماء غسل منه ﷺ "وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر"(١٧٨)، يقول من سمعه: "فانخرق من الماء... ما إن له حسًا كحس الصواعق فشرب الناس"(١٧٩).

يضاف إلى ما سبق أن كثيرًا من أصحاب الآبار بالمدينة كانوا يسألون النبي ﷺ أن يأتيهم في ديارهم وحوائطهم ليدعو لهم لتكثر مياه آبارهم، فقد ذهب النبي ﷺ إلى ديار بني أمية بن زيد(١٨٠)، وهي من عوالي المدينة، فتوضأ من بئرهم، وبصق

---

(١٧٧) الواقدي: المغازي، ج٣، ص١٠٠٨؛ وابن حبان: الصحيح، ج٤، ص٢٢٣، الحديث رقم١٣٨٣؛ وابن كثير: البداية، ج٥، ص٩.

(١٧٨) مسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٨٤، الحديث رقم ٧٠٦؛ وابن خزيمة: الصحيح، ج٢، ص٨٢، الحديث رقم ٩٦٨.

(١٧٩) ابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٥٢٧؛ وبرهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ج٣، ص١٢٠.

(١٨٠) بنو أمية بن زيد: من ولد زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص٣٣٢، ٣٣٣.

فيها، وشرب من مائها(١٨١)، كما بصق وتوضأ في بئر ذرع، وهي بئر بني خطمة(١٨٢)، وبئر بضاعة، وبئر غرس، وأهدي له عسل فصبه فيها، وأحيانًا كان يغسل رأسه من ماء البئر، ويصب فيها غسالة رأسه، ومراقة شعره، كما فعل في بئر البصة(١٨٣).

وكذلك أتى النبي ﷺ بئر أنس، التي كانت تسمى في الجاهلية البرود، ويقال: إن النبي ﷺ أحسن فيها العوم – في أثناء زيارته للمدينة مع أمه – ولكنها كانت تنزف، فبصق فيها ﷺ فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها، وكانوا إذا حوصروا استعذب لهم منها(١٨٤)، كما بصق في بئر أريس، وبئر إهاب، وبئر القراصة(١٨٥)، فجاشت هذه الآبار بالماء العذب الغزير الكافي لأهل المدينة ومن قدم عليهم.

ولما قيل للنبي ﷺ في الحديبية: "ما بالوادي ماءٌ ينزل عليه الناس، أخرج ﷺ سهمًا من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه، وأمره أن يغرزه في قاع البئر، ففعل؛ فجاش الماء

(١٨١) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٦٩٢؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٣، ص٩٧٤، ٩٧٦.

(١٨٢) بنو خطمة: هم أبناء جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص٣٤٣.

(١٨٣) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص٣٤٢، ٣٤٣؛ والمطري: تاريخ المدينة، ص١٢٦، ١٢٧، تحقيق: سعيد عبدالفتاح، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٣، ص٩٥٤، ٩٥٧، ٩٦٧، ٩٧٨، ٩٨٠.

(١٨٤) ابن شبة: تاريخ المدينة، ج١، ص١٠٢؛ والسمهودي: وفاء الوفا، ج٣، ص٩٥١، ٩٥٢؛ والصالحي: سبل الهدى، ج١٠، ص٣٨.

(١٨٥) السمهودي: وفاء الوفا، ج٣، ص٩٤٧، ٩٥٢، ٩٨١.



بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن"[١٨٦]، واغترفوا بآنيتهم وهم جلوس على شفير البئر[١٨٧].

كما أن النبي ﷺ غير بعض أسماء الآبار فغير الله ماءها من ملح أجاج إلى عذب فرات، وزاد في مقداره، وآية ذلك بئر بني أمية بن زيد ، التي كانت تسمى "العبير"، وقيل: عسرة، فسماها ﷺ "اليسيرة"، وماء بيسان الذي سماه ﷺ "نعمان"[١٨٨].

ولما سأل وفد صداء النبي ﷺ أن يدعو الله لهم في بئرهم وأن يسعهم ماؤها فيجتمعوا عليها، ولا يتفرقوا "دعا ﷺ بسبع حصيات ففركهن في يده، ودعا فيهن، ثم قال: اذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيتم البئر فألقوها واحدة واحدة، واذكروا الله"، ففعلوا، فما استطاعوا أن ينظروا إلى قعر البئر بعد ذلك لكثرة المياه التي وسعتهم[١٨٩]، في حين دفع إلى بني سعد هذيم، ثلاث حصيات ودعا فيهن، فجاشت بئرهم بالرواء، فاستقروا في دارهم ونفوا من قاربهم من المشركين ووطئوهم[١٩٠].

---

(١٨٦) ابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٣١٠؛ وابن حنبل: المسند، ج٤، ص٣٢٣، الحديث رقم ١٨٩٣٠.

(١٨٧) ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص١٣٧، ١٣٨.

(١٨٨) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٦٩٢؛ وابن شبة: تاريخ المدينة، ج١، ص١٠٣؛ والبكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٢٦٥؛ والنويري: نهاية الأرب، ج١٨، ص٢٢١، تحقيق: مفيد قميحة وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

(١٨٩) الطبراني: المعجم الكبير، ج٥، ص٢٦٢؛ والصالحي: سبل الهدى، ج١٠، ص٣٥.

(١٩٠) الواقدي: المغازي، ج٣، ص١٠٣٤، ١٠٣٥.

وهذه المعجزات للنبي ﷺ زادت المؤمنين إيمانًا على إيمانهم، وأما الذين في قلوبهم مرضٌ من المنافقين والكافرين[١٩١] ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[١٩٢]، وإن كانت هذه التدابير معجزات فإن بعضها ظل بعد عصره ﷺ بعد أن تحولت إلى آبار، وعيون، وينابيع تسر الناظرين، ينتفع بها المقيمون، ويستقي منها السائرون من المسلمين - وغيرهم -، كما حدث في عين تبوك[١٩٣]، وكذلك الأمر في الآبار التي تفل فيها، وحلت بركته فيها ﷺ.

(١٩١) الواقدي: المغازي، ج٣، ص١٠٠٩.

(١٩٢) سورة التوبة، الآية ١٢٥.

(١٩٣) ابن حنبل: المسند، ج٥، ص٢٣٧، الحديث رقم ٢٢١٢٣؛ وابن خزيمة: الصحيح، ج٢، ص٨٢، الحديث رقم٩٦٨.



الخاتمة:

وبعد هذا العرض نستطيع أن نختم هذه الدراسة بالتأكيد على نتائج عدة منها:

أن أساس مشكلة الماء التي واجهت المسلمين بعد استقرارهم في المدينة ترجع إلى الكثرة العددية للمهاجرين الذين فاق عددهم عدد السكان الأصليين، إضافة إلى وخومة المياه، وملوحة أغلب آبار المدينة، وانقطاع الأمطار.

أن أسباب مشكلة المياه في خارج المدينة ترجع إلى نزول المسلمين بمكان ليس به ماء، أو على ماء غير صالح للشرب، ونفاد ما معهم من الماء العذب، وخروجهم للجهاد أو طلب الرزق في فصل الصيف، حيث تقل المياه في الفيافي والقفار.

أن النبي ﷺ اتخذ عدة تدابير صالحة لكل زمان ومكان، خففت من حدة معاناة المسلمين من هذه المشكلة، فأخذ بالأسباب وتوكل على مسببها، فحث على البحث عن مصادر للمياه العذبة بحفر الآبار، أو شرائها والتصدق بها، وعدم منع مائها، إضافة إلى الاقتصاد في استخدام المياه، وعدم تلويثها، وحملها إلى الأماكن المحرومة منها.

كذلك ضمَّن النبي ﷺ المعاهدات التي أبرمها مع أهل الذمة بنودًا تنص على عدم منع الماء عن المسلمين في أثناء عبورهم أراضيهم؛ لأنهم إذا أدوا الجزية لم يحل شيء من أموالهم إلا بطيب أنفسهم. يضاف إلى ذلك تعليم النبي ﷺ المسلمين صلاة الاستسقاء عند انحباس المطر، فكانت السماء تنفتح عليهم بماء منهمر، يكفي حاجتهم وزيادة.

أن كثيرًا من التدابير التي عالج بها النبي ﷺ أزمة المياه التي واجهت المسلمين في العهد المدني، قد اتخذها باعتبار أنه ولي أمر المسلمين، وليس باعتباره نبيًا، فما على المسلمين - وغيرهم - إذا أرادوا لأنفسهم النجاة، وتجاوز مثل تلك الأزمة إلا الأخذ بالتدابير التي سنها النبي ﷺ، والأخذ بما ينفعهم في عصرهم من أي مصدر كان ما لم يكن فيه شبهة حرام، فالماء سر الحياة، وصدق الله القائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(١٩٤).

(١٩٤) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

نسب آل سعود

تأليف

أ. فائز بن موسى البدراني

أ. راشد بن محمد بن عساكر

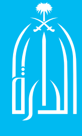
١٩٥ صفحة



يفصل هذا الكتاب الحديث حول نسب آل سعود، ويشير إلى اختلاف المصادر التاريخية في ذكر نسب هذه الأسرة الكريمة، فمنها مصادر نسبتها إلى بني حنيفة من بني بكر بن وائل، أو إلى بكر بن وائل، أو إلى وائل مباشرة، أو إلى المصاليخ من عنزة، أو إلى عنزة مباشرة، أو إلى غير ربيعة.

ويشير الكتاب إلى القول الراجح في ذلك، وهو نسبة هذه الأسرة إلي بني حنيفة من بكر بن وائل، مؤيدًا هذا القول بعدد كبير من الأدلة القاطعة على ذلك.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa